العالم بعد غزة: تاريخ

ترجمة واعداد:سميرة ابراهيم عبد الرحمن*

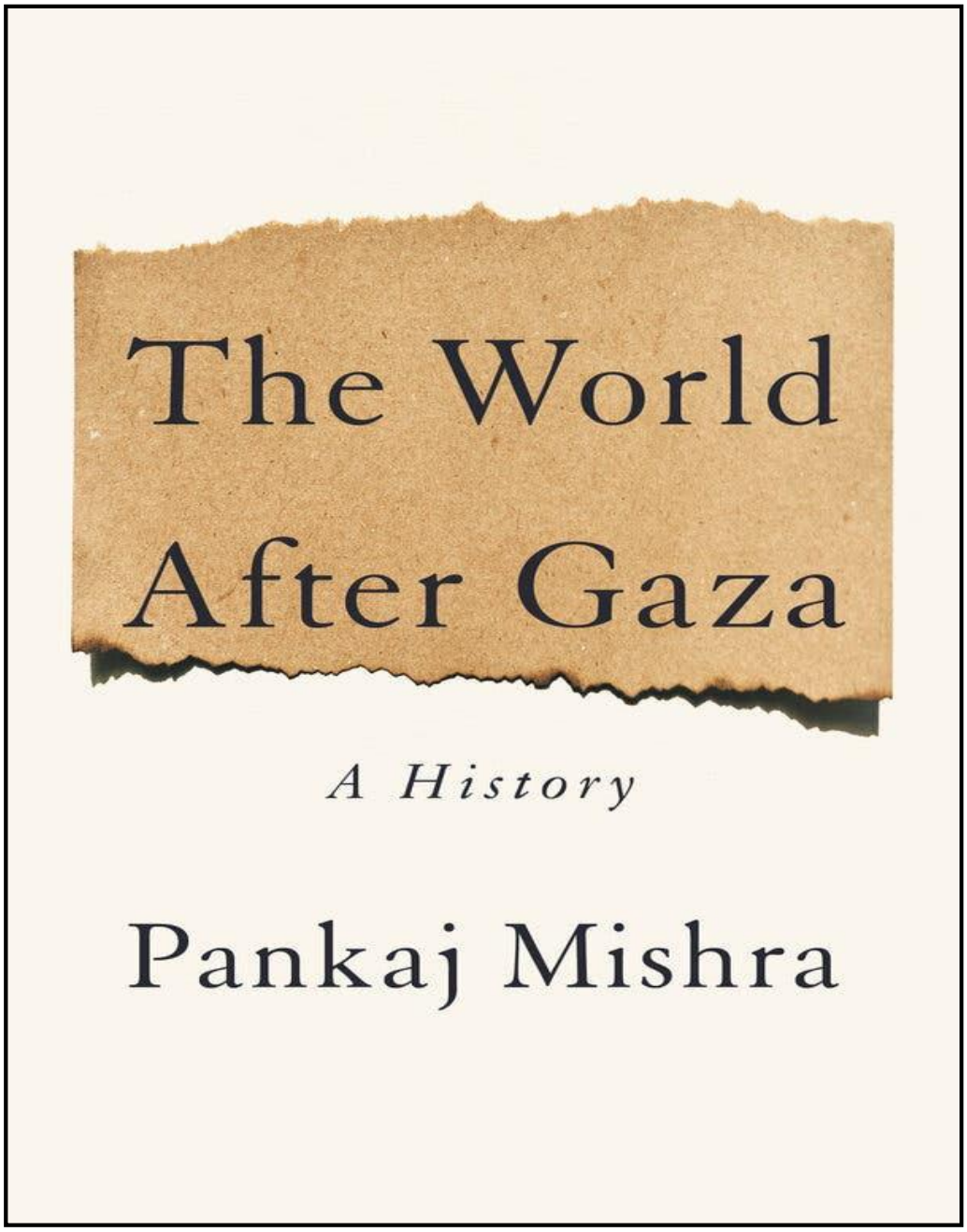

عنوان الكتاب: العالم بعد غزة: تاريخ

(The World After Gaza: A History)

اسم المؤلف: بانكاج ميشرا (Pankaj Mishra)

جهة النشر: منشورات بنغوين (Penguin Press)

سنة النشر: ١١ شباط/فبراير ٢٠٢٥

عدد الصفحات: ٣٠٤ ص

يُعدّ الكتاب الجديد لبانكاج ميشرا علامة فارقة في مسيرته الفكرية، وظاهرة ثقافية ذات صدى واسع على المستوى العالمي، نظرًا لما أثاره من نقاشات نقدية واسعة وتفاعل جماهيري لافت. في هذا العمل، يوثّق ميشرا تحوّله الفكري والأخلاقي من كاتب هندوسي كان متحمّسًا لإسرائيل، وناقدًا لتقارب الحكومة الهندية مع القضية الفلسطينية، إلى مفكّر ناقد بجرأة لسياسات الاحتلال، في أعقاب أحداث السابع من أكتوبر، التي شكّلت نقطة تحوّل جوهرية في رؤيته السياسية والإنسانية.

بانكاج ميشرا، المولود في شمال الهند عام ١٩٦٩، يُعدّ من أبرز المفكرين والكتّاب في الفضاء الثقافي الناطق بالإنجليزية، وأحد الأصوات النقدية البارزة في تحليل الحداثة الغربية من منظور ما بعد استعماري.

من أشهر أعماله كتابه اللافت "**زمن الغضب: تأريخ الحاضر**" (Age of Anger: A History of the Present) الصادر عن دار "بيكادور" عام ٢٠١٧، الذي تناول فيه جذور العنف المعاصر بوصفه نتاجًا لتاريخ طويل من الهيمنة الإمبريالية والإقصاء الثقافي. إلى جانب ذلك، ألّف ميشرا عددًا من الكتب المؤثرة، من بينها "**من أنقاض**

الإمبراطورية: الثورة ضد الغرب وإعادة تشكيل آسيا (From the Ruins of Empire: The Revolt Against the West and the Remaking of Asia)

"، الصادر عن دار "بيكادور" عام ٢٠١٣. كما نشر مجموعة من المقالات النقدية في كتاب بعنوان " **المتعصّبون الباهتون: الليبراليون، والعرق، والإمبريالية**" (Bland Fanatics: Liberals, Race, and Empire)، صدر عن منشورات "فيرسو" عام ٢٠٢٠.

أما كتابه الجديد محل العرض "**العالم بعد غزة**"، وهو امتدادُ لمقالٍ كتبه في مجلّة (London Review of Books) في شهر آذار/مارس ٢٠٢٤ والموسوم "الهولوكوست بعد غزة"[١] (The Shoah after Gaza)، فيقدّم من خلال فصوله قراءة تحليلية معمّقة للمنظومة الغربية، ولا سيما في ما يتعلق بمواقفها من الحرب على غزة، وتواطئها في إنتاج المعاناة الفلسطينية واستدامتها. أحد أبرز فصول الكتاب، والذي نُشر سابقًا كمقال مستقل في مجلة فورين بوليسي بتاريخ ٧ شباط/فبراير ٢٠٢٥ تحت عنوان "كيف حطّمت غزة أسطورة الغرب"، يُمثّل مدخلًا حادًا في فهم المشروع الأخلاقي الغربي كما يراه ميشرا، ويكشف عن مدى التناقض بين القيم التي تبنّاها الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، وسلوكياته السياسية في الحاضر.

يرى ميشرا أن ما يحدث في غزة ليس مجرد مأساة إنسانية، بل يفضح انخراطًا غربيًا فعليًا في تدمير القطاع، ويضع الخطاب الغربي الأخلاقي في مواجهة صارخة مع أفعاله. ويقارن في هذا السياق بين مقاومة اليهود في غيتو وارسو عام ١٩٤٣، والتي مثّلت محاولة يائسة لاسترداد الكرامة الإنسانية، وبين الواقع في غزة، حيث يُقتل المدنيون وتُنقل مأساتهم لحظة بلحظة على مرأى العالم، دون أن يتحرك المجتمع الدولي لوقف هذه الجريمة المستمرة.

ويشنّ ميشرا نقدًا لاذعًا لصمت الغرب، لا سيما الولايات المتحدة وبريطانيا، معتبرًا أن هذا الصمت لا يُعدّ مجرّد موقف سياسي، بل دليلًا على الانهيار الأخلاقي العميق للقيم التي ادّعى الغرب تبنيها بعد الحرب العالمية الثانية. كما يفضح الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام الغربية، والتي خضعت، وفق ميشرا، لتوجيهات صريحة تتجنب استخدام مصطلحات مثل "مخيمات اللاجئين" و"التطهير العرقي"، في محاولة لتضليل الرأي العام والتقليل من فداحة ما يحدث.

ويصف ميشرا الحرب على غزة بأنها كارثة أخلاقية فريدة، خلفت جرحًا عميقًا في الضمير العالمي، وولّدت شعورًا بالذنب والعجز، لا سيماقلدى الجيل الشاب في الغرب، الذي بات يواجه انهيار المنظومة القيمية التي نشأ في ظلها، وتشكّلت على أساس سرديات العدالة والحرية وحقوق الإنسان.

وفي سياق نقده لتوظيف الذاكرة التاريخية، يلفت ميشرا إلى أن إسرائيل تستغل ذكرى الهولوكوست لتبرير سياساتها تجاه الفلسطينيين، ويرى أن هذا الاستخدام الانتقائي للمعاناة لا يخدم سوى شرعنة العنف الممنهج، وتحويل تاريخ الاضطهاد إلى أداة أيديولوجية تُستخدم ضد شعب آخر.[٢]

يمتاز هذا الكتاب ليس فقط بشجاعة الطرح، بل أيضًا بعمق التحليل، وقدرته على الربط بين التجربة الذاتية والمشهد العالمي، في وقت تتكشّف فيه التناقضات الأخلاقية والسياسية للغرب على نحو غير مسبوق.

حظي هذا العمل باهتمام نقدي واسع وردود فعل لافتة في الأوساط الفكرية، وقد وصفت الكاتبة والمفكرة نعومي كلاين[٣] بأنه: "جريء ومحفّز، عميق المعرفة ورفيع الأخلاق، صارم في تحليله وواسع الأفق."

أما الروائي الحائز على جائزة بوليتزر هشام مطر[٤]، فرأى أن الكتاب "بالغ الأهمية وملحّ، ويقدّم فيه ميشرا—أحد أكثر كتّابنا فطنة وشجاعة—نتاجًا فكريًا في ذروة عطائه."

فيما اعتبره الكاتب أناند غيريدهارداس "عملًا إنسانيًا منتصرًا في قلب صراع مستقطِب."

وقد اختير الكتاب ضمن أفضل كتب الشهر بحسب مجلة تايم (Time)، واعتُبر من أكثر الإصدارات المرتقبة لعام ٢٠٢٥ وفق قوائم (The Guardian) و (Bustle)، و(Foreign Policy) ، و (Literary Hub).[٥]

في هذا العرض، نسلّط الضوء على ثلاث قراءات نقدية تناولت الكتاب من زوايا متباينة، كاشفة عن عمق أطروحته وتعدّد أوجه تلقّيه. نستعرض من خلالها أبرز الأفكار التي طرحتها كل مراجعة، وما أضاءته من جوانب فكرية وسياسية في هذا العمل اللافت.

العرض الأول: "الجهود للبحث عن وضوح أخلاقي في صراع الشرق الأوسط"

يبدأ الكاتب والمراجع بن هوبارد (Ben Hubbard) في مقالته الموسومة **(What Is the Best Way to See the Violence in the Middle East?)** التي نشرتها صحيفة النيويورك تايمز (The New York Times) في ٩ شباط/فبراير ٢٠٢٥ في بالحديث عن سعي بانكاج ميشرا للبحث عن "وضوح أخلاقي" في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. في كتابه، يُقدّم ميشرا تحليلاً جذريًا للصراع من خلال ربطه بالأزمات الأكبر للنظام الدولي، ويؤكد على فشل الخطاب السياسي الغربي في الحفاظ على القيم الإنسانية المعلنة. ينتقد الكتاب الدعم الأميركي غير المشروط لإسرائيل، مُحملاً الولايات المتحدة مسؤولية أخلاقية فيما يتعلق بالعنف ضد الفلسطينيين.

يتناول الكتاب الموضوع من منظور "تفكيك الاستعمار" (Decolonization)، إذ يعتبر أن قضية الفلسطينيين تمثل امتدادًا لصيرورة تاريخية تتعلق بالاستعمار. وبالرغم من تشاؤمه من تحوّل الوضع، إلا أن ميشرا يسعى إلى استنهاض "تضامن إنساني" عالمي كبديل للعنف والتقسيمات العرقية، ما يجعل الكتاب عرضًا فكريًا يتجاوز الحدود السياسية التقليدية.[٦]

العرض الثاني: "إرث العنف والحرب الدائمة"

من ناحية أخرى، يعرض تشارلي إنغليش (Charlie English)، وهو رئيس سابق لقسم الأخبار الدولية في صحيفة الغارديان في مراجعة مثيرة للجدل لمحتوى الكتاب بمقاله الموسوم (The World After Gaza by Pankaj Mishra review – legacies of violence)، كيف أن ميشرا لا يقتصر على نقد سياسات إسرائيل فحسب، بل يطرح إدانة شاملة للغرب وأدائه في خلق إسرائيل والدعم المستمر لها. يربط ميشرا الصراع بالإرث الاستعماري الغربي، إذ يرى أن معاناة الفلسطينيين هي جزء من مشروع أوسع للتفوق العرقي والهيمنة الأوروبية على بقية شعوب العالم. ويُظهر الكتاب كيفية توظيف الذاكرة الجماعية للمحرقة، التي يرى ميشرا أنها أصبحت أداة لتبرير العنف في فلسطين.

وفي هذا السياق، يعترف ميشرا بأنه كان في البداية معجبًا بإسرائيل في شبابه، لكن زيارته للضفة الغربية عام ٢٠٠٨ شكّلت نقطة تحوّل في موقفه، إذ أصبح بعدها ناقدًا حادًا ومباشرًا، إذ شكّلت صدمته من ممارسات الاحتلال الإسرائيلي دافعًا لتحوّله، غير أن انتقاداته لم تقتصر على إدانة السياسات الإسرائيلية، بل تجاوزتها إلى الدعوة لإعادة النظر في الروايات التاريخية السائدة حول جذور الصراع ووقائعه.[٧]

العرض الثالث: "الفيلوسامية والانتقادات الجذرية"

أخيرًا، يسلط فرانكلين فوير الضوء على نظرة ميشرا للغرب من زاوية "الفيلو–سامية" المفرطة. في مقاله، يتطرق إلى الكيفية التي يعبر بها ميشرا عن "الغباء" الذي شعر به أثناء زيارته للضفة الغربية، ويتابع لينتقد بشدة التصورات الغربية عن الإسرائيليين كضحايا يتعرضون لمعاداة السامية. وفقًا لميشرا، يعتبر دعم إسرائيل انعكاسًا لمشكلة أوسع في الحضارة الغربية تتجسد في تقديس المحرقة وتوظيفها لتبرير القتل الجماعي وتصفية الفلسطينيين. ولكن فوير يشير إلى ضعف هذا التحليل، خاصة في تجاهل القضايا الجوهرية مثل الديانة الصهيونية والعلاقة الروحية بين اليهود وأرض إسرائيل.

في نهاية المقال، يعبر فوير عن استيائه من طريقة ميشرا في تقديم إسرائيل كاستعمار استيطاني دون النظر إلى التفاوتات الدقيقة في هذا التحليل، مشيرًا إلى أن ميشرا في سعيه للبحث عن حلول، لا يقدم بديلاً عمليًا للصراع الدائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

بينما يقدم الكتاب قراءة نقدية جريئة لصراع الشرق الأوسط عبر عدسة الاستعمار ومفاهيم الحقوق الإنسانية، فإن هذه المراجعات تفتح المجال لتباين الآراء حول رسائل الكتاب ومدى توازنه. يظل كتاب "العالم بعد غزة" مصدرًا غنيًا للتفكير، لكنه أيضًا محل جدل بسبب تقديمه منظورًا محددًا قد يتجاهل بعض العناصر المعقدة والمترابطة للصراع.

* رئيس مترجمين أقدم في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد
samira.ibrahim@ cis.uobaghdad.edu.iq

[١] للمزيد من التفاصيل عن المقال، يُرجى مراجعة:
London Review of Books; Vol. 46 No. 6 · 21 March 2024.

[٢] للمزيد من التفاصيل، يُرجى مراجعة:
https://foreignpolicy.com/2025/02/07/pankaj-mishra-world-after-gaza-book-israel-war-global-order-history

[٣] نعومي كلاين هي مفكرة وناقدة سياسية وأستاذة جامعية كندية من أبرز الأصوات الفكرية اليسارية المعاصرة، وُلدت في ٨ مايو/أيار ١٩٧٠ في مونتريال بكندا، لأسرة يهودية ذات جذور نضالية؛ فجَدّها كان من أوائل منظّمي الإضرابات العمالية في شركة "والت ديزني"، ووالداها من المناهضين لحرب فيتنام. عُرفت كلاين منذ التسعينيات كصحفية وكاتبة عمود في عدد من الصحف الكبرى مثل (The Globe and Mail) و (The Guardian) و(The Intercept)، ثم تحوّلت إلى واحدة من أكثر الكتّاب تأثيرًا في نقد الرأسمالية النيوليبرالية والنظام العالمي.

قدّمت كلاين أعمالاً مفصلية في الفكر السياسي والبيئي، من أبرزها كتاب (No Logo) (1999) الذي أصبح مرجعًا في نقد العولمة الثقافية، و (The Shock Doctrine) (2007) الذي فصّل آليات "رأسمالية الكوارث"، كما واصلت هذا المسار في كتب مثل (This Changes Everything) (2014) و (On Fire) (2019)، وصولًا إلى كتابها الأخير (Doppelganger) (2023) الذي تداخل فيه الذاتي بالفلسفي، وتناولت فيه مفاهيم الشَبَه والتماثل كآليات لقراءة العالم السياسي والرمزي.

بالإضافة إلى عملها الكتابي، تشغل كلاين موقع أستاذة للعدالة المناخية في جامعة كولومبيا البريطانية، ومديرة مشاركة لمركز العدالة المناخية بالجامعة، كما عُينت أستاذة

فخرية للإعلام والمناخ بجامعة روتجرز في الولايات المتحدة عام ٢٠١٨، رغم عدم حيازتها شهادة دكتوراه، في اعتراف بأهمية مساهماتها الفكرية والصحفية الممتدة عالميًا.

[٤] هشام جاب الله مطر هو كاتب وروائي ليبي وُلد عام ١٩٧٠ في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقيم حالياً في لندن. يُعد من أبرز الأصوات الأدبية المعاصرة التي أثْرَت المشهد الثقافي العالمي، من خلال أعمال تجاوزت الحدود الجغرافية واللغوية، وانتمت إلى الأدب الإنساني بعمقه وشموليته. ابتدأ مسيرته الروائية بروايته الأولى في بلد الرجال (٢٠٠٦)، التي أدرجت ضمن القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر، ما كرّس مكانته مبكراً كصوت مميز في السرد الروائي الحديث. تلتها روايته الثانية اختفاء، التي صدرت في مارس ٢٠١١ وحققت انتشاراً واسعاً.

في عام ٢٠١٧، أصدر مطر مذكراته العودة، التي تناول فيها بحثه المضني عن والده المختفي قسرياً في السجون الليبية، وقد نالت هذه المذكرات جائزة بوليتزر عن فئة السيرة الذاتية، بالإضافة إلى جائزة "جين ستين" المرموقة التي تمنحها منظمة PEN. وواصل مطر حضوره الأدبي المؤثر بروايته أصدقائي، التي فازت بجائزة أورويل للرواية السياسية في عام ٢٠٢٤.

إلى جانب إسهاماته الروائية، كتب هشام مطر مقالات في عدد من الصحف البارزة مثل الشرق الأوسط، والإندبندنت، والغارديان، والتايمز، ونيويورك تايمز. وهو زميل في الجمعية الملكية للأدب، ويشغل منصب أستاذ مشارك في الممارسة المهنية بفرع الأدب المقارن وثقافات آسيا والشرق الأوسط واللغة الإنجليزية في كلية بارنارد، جامعة كولومبيا. (المترجمة نقلاً عن عدة مصادر على الانترنت)

[٥] للمزيد من التفاصيل، يُرجى مراجعة:

The World After Gaza: A History of the Present. Amazon.

متاح على الرابط:

https://www.amazon.com/World-After-Gaza-History/dp/B0DD31X5GH

[٦] للاطلاع على المقال كاملاً، فانه متاح على الرابط:

https://www.nytimes.com/2025/02/09/books/review/the-world-after-gaza-pankaj-mishra.html?searchResultPosition=1

[٧] للاطلاع على المقال كاملاً، فانه متاح على الرابط:

https://www.theguardian.com/books/2025/feb/08/the-world-after-gaza-by-pankaj-mishra-review-legacies-of-violence